المبحث الأول

حياة الشاعر وآثاره

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ـ حياته

أ ـ في زمن الاستعمار الفرنسي :

ولد الشاعر والداعية الإسلامي ، أحمد سحنون في قرية "ليشانة" التابعة لولاية بسكرة في الجنوب الشرقي للجزائر عام ١٩٠٧ ، وفي القرية نفسها حفظ القرآن الكريم كعادة أهل المغرب العربي منذ الأيام الأولى للإسلام ، حيث كان منهجهم في التعليم أن يبدؤوا بالقرآن الكريم على خلاف أهل الأندلس ـ مثلاً ـ وهي الطريقة التي ذكرها ابن خلدون في قوله : «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن . . . لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ، ولا من فقه ، ولا من شعر ، ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه ، أو ينقطع دونه» (١) .

إن العادة نفسها قد سار عليها الجزائريون ، وازدادوا تمسّكاً بها في زمن الاحتلال الفرنسي ، الذي جعلهم يمارسون الصراع الحضاري على أشده ، حين جعلوا من حفظ القرآن الكريم سلاحهم ، الذي يجب أن يتزودوا به لمقاومة الصليب .

وبعد حفظِ الشاعر الشيخ للقرآن الكريم ، تلقى مجموعة من العلوم الشرعية والأدبية على يد شيوخ المنطقة(*) ثم رحل إلى الشمال قاصداً مدينة الجزائر ، التي التقى فيها بأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين فرضوا مشروعهم الحضاري في قلب العاصمة ، التي أحاطها المستعمر بحواجز تغريبية لا تنتهي . وفي العاصمة عمل مدرساً بمدرسة الشبيبة الإسلامية منذ عام ١٩٣٦ .

ويبرز بعد الحرب العالمية الثانية كواحد من أعضاء جمعية العلماء المجدين العاملين ، حيث احتضنته الجمعية عضواً في مجلسها الإداري عام ١٩٤٧ ، ثم معلماً بمدرسة التهذيب في سبتمبر من نفس العام فمديراً لنفس المدرسة عام ١٩٤٨ ، كما

(١) «المقدمة» : ابن خلدون ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ ج٢ ـ الجزائر ـ ١٩٨٤ : ص٧٠١.

(*) انظر: جريدة المساء – الأحد: ٠٢/٠٤/١٩٩٥ – الجزائر.

اختارته الجمعية مرشداً وواعظاً حين كلفته بإحياء ليالي رمضان عام ١٩٤٩ ، ومع الإدارة والتعليم والوعظ والإرشاد كانت مهمة الإعلام ، إذ شارك في تحرير جريدة «البصائر» كما كتب مقالات وأشعاراً في جرائد شتَّى منها الإصلاح والشهاب ، هذا هو مختصر الزمن الأول الذي نشأ فيه أحمد سحنون ، وهو زمن خصب مليء بالتحديات ، غني بالمؤيدات الفكرية التي أهَّلت الشاعر إلى حوادث هامة ، جربها أثناء الثورة وبعدها .

ب ـ في زمن الثورة التحريرية :

يمكننا أن نختصر حياته أثناء الثورة التحريرية في عالم السجون والمعتقلات ، التي جربها لفترة طويلة ، تبدأ من يوم ٢٤ مايو (أيار) ١٩٥٦ ، حيث تمكنت فرنسا من إلقاء القبض عليه مع جمع من المصلين ، وألقت به في مجاهيل سجن البرواقية بالقرب من العاصمة ، ومنه إلى عالم المعتقلات المرعب ، الذي يوضع فيه الجزائريون مهملين ، معذبين دون جرم اقترفوه ، فسيق الشاعر إلى معتقل بوسوي ، الذي أنشأته فرنسا عام ١٩٥٥ بدائرة تلاغ جنوب سيدي بلعباس ، ثم معتقل بطيوة غرب مدينة وهران وهكذا ، حتى كان عام ١٩٥٩ حين أجبره الاستعمار على أن يختار بين أمرين : أحدهما أن يخون الثورة ويعمل لصالح فرنسا ، أو يواجه الأمر الثاني ، وهو عقوبة الإعدام ؛ فكان قوله : «أرفض العمل معكم ، وافعلوا ما بدا لكم ، والله يتولى أمري!»[1] وكان الجزاء بعد هذا أن حكم عليه بالإعدام ، ولكن الله شاء ألا ينفذ فيه الحكم ، فكتبت له الحياة حتى الاستقلال .

وخاتمة حياته في زمن الثورة أنها حياة مليئة بالجد والاجتهاد ، غنية بالعطاء الشعري ، حيث كتب جل أشعاره في السجون والمعتقلات ـ وهي أشعار مهمة ـ يشهد عليها ذلك الكم الهائل الذي نعته الشاعر نفسه بـ «حصاد السجن» وهو حصاد مر علقم ، لكنه رائع ، ففيه العبرة التاريخية التي ترينا نوعاً من الرجال الذين لا يشغلهم عن الأمور العظيمة شاغل .

---

(١) لقاء مع الشاعر بتاريخ ١٩٨٦/٠٤/٢١ ـ الجزائر.

جـ ـ في زمن الاستقلال :

لقد فهم الشاعر أحمد سحنون الاستقلال فهماً إسلامياً ، دلـه علـى أن هـذا الزمـن إنما يكون للجهاد الأكبر الذي يجب أن يتواصل مع الجهاد الأصغر (زمن الثورة)[1] :

فـلا تحسـبوا التحريـر يغنـي عـن ولا محـض الاسـتقلال يكسـبنا
فلا كان الاستقلال إن جانب الهـدى ولا بقي التحرير إن جانب العدلا
أعيذكـم أن تمسـخوا الثـورة التـي بذلتـم فـأغليتم لإنجازهـا البـذلا

لقد عمل الشاعر في إطار هذا الفهم مخلصاً وفياً لنهج الشهداء ، وقد جلب له هذا الإخلاص متاعب لا تحصى ، شأنه شأن كثير من العلماء الجزائريـن المسلمين الذيـن ظلمهم زمن الاستقلال ، كما ظلم كل فرع يمت بصلة إلى أصله الذي هو الشهيد .

ويمكننا أن نرصد بداية صراعه مع زمن الاستقلال بجمعية القيـام التي كـان عضواً في لجنتها الخاصة بالأدب ، كما كان عضوا في مجلتها "التهذيب الإسـلامي" ، وهـي الجمعية التي تم حلها في ٠٤ جمادى الأولى عام ١٣٨٦ هـ الموافق لـ ٢٢/ ٠٩/ ١٩٦٦[*] ، ويأتي حلها وفقاً للمنهج السياسي السائد آنذاك ، والذي اختار أن يسير الوطن وفق الاشتراكية المؤيدة بالتغريب .

أما عمله الثاني : فيكمن في الوظيفـة التي منحت لـه إماماً وعضواً في المجلس الإسلامي الأعلى إلى غاية ١٩٦٨ ، حيث أعلن انسحابه من الوظيفـة ، نتيجـة للصـراع الحـاصل بينـه وبيـن واقـع بـدأ يجـرب السير الحثيث نحـو زمـن الاشـتراكية بعيـداً عـن الإسـلام ، وطبيعي أن يكـون مآل الشـاعر بعـد موقفـه هـذا السـجون المؤيـدة بالإقامـة الجبرية ، حيث لم يسلم منها إلاّ لفترات قصيرة من حياته أثناء الاستقلال ، وقـد كـانت هذه التجربة مريرة ، خاضها الشاعر قاسية محزنة مع النظـام الحـاكم يقـول : «لـم أكـن أتوقع يوماً أن تجربة السجن مع فرنسا ستعود بعد الاسـتقلال ، وأن يكـون أبطالهـا هـذه

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» ـ ش و ن ت ـ الجزائر ـ ١٩٧٧: ص١٧٩.

(*) انظر: جريدة المساء – الأحد: ٠٢/٠٤/١٩٩٥ – الجزائر .

المرة أبناء جلدتنا . . . »[1] .

وأهم عمل له بعد هذا ، أنه مهّد لتأسيس رابطة الدعوة الإسلامية بعد حوادث أكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٨ الدامية ، إذ كان في نيته أن يجمع بين التنظيمات الإسلامية في الجزائر على اختلاف مناهجها . أما أهداف الرابطة فكان يراها كالآتي :

- محاولة العودة بالشعب الجزائري المسلم إلى الينابيع الصافية للإسلام ، فبدونها لا يمكنه فهم الإسلام فهماً صحيحاً ، وبغيرها لا يستطيع السمو .
- السعي إلى حل المشكلات العالقة حلا إسلاميا بعيداً عن الأهواء والتعصب .
- الحفاظ على وحدة الأمة وسلامتها .
- كشف المخططات الرهيبة التي تحاك ضد كيان الجزائريين الماثل في دينهم ولغتهم .

غير أن هذه الأهداف لم يكتب لها النجاح نتيجة لنوايا بعض الإسلاميين السياسية والسلطوية ، التي سيكشف التاريخ عنها لاحقاً ، ورغم هذا الفشل الذي تضاف إليه شيخوخة هذا الشاعر العالم ، فإنه ما يزال يجاهد في سبيل الجزائر المسلمة ، وفي سبيل أن يجتمع أبناؤها على كلمة الحق .

نقول هذا ونحن نعلم أن الشيخ إنما يعاني ويتألم في ظل الأدعياء ، الذين غيّبوا المخلصين من أبناء هذا الوطن ، ويمكننا أن نقرأ بعض هذا الألم في أبيات من قصيدة كتبها عام ١٩٩٥ ، وأهداها إلى رفيق دربه الشاعر الإسلامي مصطفى محمد الغماري قائلاً[2] :

يا رفيق الدرب في دنيا القريض ... أين أصحاب لدينا أصفياء
يا أخا ماض عريق وعريض ... لم نعد نبصر إلا الأدعياء
يا سنا فجر لمكلوم مريض ... كيف نحيا بين قوم أغبياء

---

(١) لقاء مع الشاعر بتاريخ ١٩٨٦/٠٤/٢١/ الجزائر.

(٢) مجلة الرواسي: ع ١٢ ـ أكتوبر ١٩٩٥ ـ جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي ـ باتنة: ص١٠٣.

٢ ـ ثقافتـه

لم تخرج ثقافة الشاعر الداعية «أحمد سحنون» عن مصدرين أساسيين هما : القرآن الكريم الذي يعد أهم شيوخه ، كما يصرح بذلك في دروسه . أما المصدر الثاني فهو : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وما عاصرها من جهود إصلاحية ، وهي الجهود التي تتخذ الثقافة العربية الإسلامية مصدراً أساسياً لها ، والمصدر الثاني هذا قد أرشده إلى استيعاب التراث العربي الماثل في (الأمالي والأغاني والحماسة ، وفي دواوين الشعراء الفحول مثل : أبي الطيب وأبي تمام وأبي فراس الحمداني وابن زيدون ، وكتب الدين والفقه ، وما يتفرع عنها من شروح وتفاسير) .

ومع التراث نجد الثقافة العربية المعاصرة له ، حيث قرأ للعقاد والمازني والرافعي والزيات ، كما تأثر بشعراء مدرسة الإحياء[١] . ولعل هذا ما جعله رجل أدب قبل أن يكون إماماً ومصلحاً ومفكراً إسلامياً فهو يقول : «إن نشاطي في أول حياتي العلمية كان أدبياً غير أن مجال الدعوة قد فرض عليّ الإمامة والخطابة»[٢] .

---

(١) انظر : «الشعر الجزائري الحديث»، د. محمد ناصر ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ١٩٨٥: ص ٢٦٩.

(٢) جريدة الحقيقة: ع٣، ١٩٩٣/١٢/٢٩: ص ٤ ـ الجزائر .

obeikandl.com

٣ ـ آثـاره

ـ «**ديوان شـعري**» : (طبعتـه الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع ـ عـام ١٩٧٧ ، ضمن سلسلة شعراء الجزائر) .

ـ «**دراسات وتوجيهات إسلامية**» : (صدر عن الشركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع عام ١٩٨٦) .

ـ «**تساؤل وأمل**» : ديوان مخطوط (طلبنا من الشاعر أن يمنحنا هـذا الديـوان ، لكنه اعتذر ؛ لأنه كما ذكر ينوي مراجعة بعض الأمور الحضارية والفنية فيه) .

ـ «**كنوزنا**» : مخطوط خاص بأشعار القدماء .

ـ «**أشعار الندوة الأدبية**» : (جمع فيه أشعار المعتقلين أثناء الثورة التحريرية)(*)

(*) انظر : مجلة الرواسي: (جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي) ع٢ ، ٣، ٤ ــ باتنـة ، الجزائـر. وأيضـاً: «شعر السجون والمعتقلات في الجزائر» ـ مخطـوط رسـالة ماجستير ــ محمـد زعينـة . معهـد الآداب ــ جامعة باتنة ١٩٩٠ : ص ٣٢٢ .

obeikandl.com